

## فلسطين وإسرائيل؛

## أن أوان الخطة البديلة (ب)

ناثان ج. براون

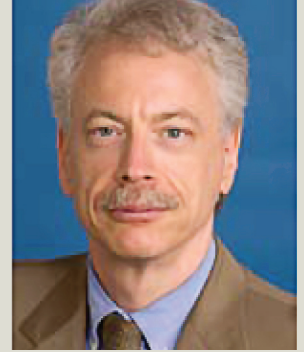
باحث غير مقيم في مؤسسة كارنيغي

## خلاصة

- الجهد الدولي لتحقيق حل الدولتين للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني وصل إلى طريق مسدود، حتى الآن على الأقل.
- لا بل الأمور يمكن، بل ويرجح، أن تتحدر إلى الأسوأ إذا لم تقم الولايات المتحدة والأطراف الخارجية الأخرى بالمزاوجة بين المقاربة الواقعية للوضع الراهن وبين جهود جدية يجب أن تبذل للدفع باتجاه مستقبل أكثر إشراقاً.
- الخطوة الأولى في المقاربة الدبلوماسية المقبلة يجب أن تركز على وقف لإطلاق النار يستند إلى اتفاق بين إسرائيل وحماس لتفادي أي مواجهات على المدى القصير.
- وقف إطلاق النار هذا يجب أن يكون واضحاً، ومكتوباً، كما يجب على الوسطاء (سواء أكانوا عرباً أم أوروبيين) أن يكونوا مستعدين للعمل على جعل أي اتفاقية أكثر جاذبية لكلا الطرفين، مما يشجعهما على المحافظة عليها (بالإمكان حفز حماس عبر فتح نسبي لحدودها مع مصر، فيما ستطالب إسرائيل ببذل جهود لوقف إمدادات الأسلحة إلى حماس).
- الخطوة الثانية يجب أن تكون إبرام هدنة تُعطي الطرفين ما يستسيغانه في الحاضر، فتحصل إسرائيل على الهدوء وعلى الحد من تسلح حماس، فيما يحصل الفلسطينيون على حدود مفتوحة وتجميد المستوطنات وعلى فرصة لإعادة بناء مؤسساتهم الممزقة. ومثل هذه الهدنة تتجاوز فترة وقف إطلاق النار لسنة لتصبح شيئاً أكثر ديمومة يستمر لمدة خمس أو عشر سنوات.
- فرصة الهدوء الذي ستوفره الهدنة يجب أن تقتنص لإعادة بناء المؤسسات الفلسطينية وإجبار الفلسطينيين والإسرائيليين على التحاور بدل تجاهل الخيارات المطروحة عليهم.

المشكلة لا تكمن في الحل نفسه - إذ هو لا يزال يحوز على بعض الجاذبية بالنسبة إلى بعض الأطراف - بل في الحقائق على الأرض، وفي الانهيار التام للعملية الدبلوماسية التي تجاهلت تلك الحقائق. بالطبع، العقبات باتت معروفة تماماً، وهي تتمثل في: وجود قادة غير قادرين أو مستعدين (أو كلا الأمرين معاً) لاستمالة مجتمعاتهم نحو التسويات الضرورية، والانعدام العميق

بدأت الإدارة الأميركية الجديدة، التي تتبلور معالمها للتو في واشنطن، تكتشف مبكراً أن قدرتها على حفز التفاؤل في أميركا وخارجها، تصطدم بالحقائق المريرة في الشرق الأوسط. إذ أن مشاعر "شهر العسل" غير قادرة على تجاوز الإدراك المتنامي بأن الجهد الدولي لتحقيق حل الدولتين للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني وصل إلى طريق مسدود.



نathan ج. براون

باحث غير مقيم في مؤسسة كارنيغي، وأستاذ العلوم السياسية والشؤون الدولية ومدير برنامج دراسات الشرق الأوسط في جامعة جورج واشنطن. له أربعة كتب حول السياسات العربية من بينها "السياسة الفلسطينية بعد اتفاقات أوسلو: استعادة فلسطين العربية" (كاليفورنيا 2003). تركّز عمله السابق على السياسة الفلسطينية وعلى سيادة القانون والأنظمة الدستورية في العالم العربي.

للثقة المشتركة (المبررة في الغالب)، والاضطراب السياسي لدى كلا الطرفين، والممارسات المقصودة لفرض حقائق على الأرض تجعل من تحقيق حل الدولتين أمراً مستحيلاً، وخيبة الأمل الناجمة عن عقم الجهود السابقة التي قامت بها الولايات المتحدة.

وعلى الرغم من أن إدارة أوباما ورثت عملية دبلوماسية مستنفدة تقريباً، إلا أنه لاتزال تتوافر بعض الأدوات. إذ ترفض إسرائيل وحماس الاعتراف بشرعية بعضهما البعض، كما ترفضان التفاوض للتوصل إلى تسوية، إلا أنهما تتفاوضان (وإن بشكل غير مباشر) للتوصل إلى ترتيبات قصيرة الأمد. كما أظهر الجانبان اهتماماً بالتوصل إلى نوع ما من وقف إطلاق النار، استهدف منه الإسرائيليون منع إطلاق الصواريخ على مناطق في بلدهم تزداد اتساعاً، فيما تريده حماس كوسيلة لاستئناف بناء دولتها الحزبية في غزة.

على الرغم من ذلك، لا ينبغي للاعتراف بالحقائق القائمة على الأرض والتعامل معها أن يعني القبول بها بشكل دائم. فالوضع الراهن ليس هشاً على صعيدي الأمن والعدالة وحسب، بل هو غير مستقر أيضاً. والأمور يمكن - بل والأرجح - أن تسوء أكثر، ما لم تقم الولايات المتحدة والأطراف الخارجية الأخرى بمزاوجة المقاربة الواقعية للوضع الراهن مع جهود جدية للدفع باتجاه مستقبل أكثر إشراقاً.

لكن ينبغي على هذه الأطراف، في الوقت الحالي، الكف عن تبديد وقتهم في محاولة التغلب على العراقيل للتوصل إلى حل فوري وشامل للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني. بدل ذلك يبدو أن الوقت قد أظف لتنفيذ الخطة البديلة (ب).

## الخطوة الأولى: التفاوض بحذاقة لوقف إطلاق النار

ينبغي للخطوة الأولى في أي مقارنة دبلوماسية جديدة أن تركز وقف إطلاق النار يستند إلى المصلحة المشتركة لكل من إسرائيل وحماس لتفادي إندلاع القتال على المدى القصير.

لكن، إذا ما كانت إسرائيل وحماس راغبتين في وقف إطلاق النار، فلماذا فشل وقف إطلاق النار السابق (الذي بدأ في شهر حزيران/يونيو الماضي) بشكل فاقع

في كانون الأول/ديسمبر؟ الأسباب لاتكمن في نوايا كلا الطرفين بل في البنية الغامضة لاتفاق وقف إطلاق النار نفسه. فقد تم التفاوض على الاتفاق بشكل غير مباشر وغير مكتوب لأن كلا الطرفين لديهما تفسيرات متباينة للعناصر الضرورية وتلك الثانوية والمشروطة في الاتفاق. فقد رغبت حماس في أن يصمد الاتفاق لفترة محددة، ويشمل الضفة الغربية، ويؤدي إلى فتح الحدود مع مصر، لكن إسرائيل رفضت الشرطين الأول والثاني وأعطت تلميحات غير مكتوبة (وبالكاد واضحة) بالنسبة إلى الشرط الثالث. وفي الواقع فإن كلا الطرفين قاما بتغليب المسائل الحاسمة بغلالة من الغموض بدل حلها. كما أنهما خشيا من أن وقف إطلاق النار يوفر هدوءاً قصير الأمد في مقابل كلفة مرتفعة على المدى الطويل؛ إذ كانت إسرائيل قلقة من أن ذلك لن يقود سوى إلى مفاقمة قوة حماس، فيما كانت حماس قلقة من أن يتحوّل حصار غزة إلى حالة حصار دائمة.

إن وقف إطلاق النار الذي أنهى القتال في كانون الثاني/يناير - أوبالأحرى عمليتي وقف إطلاق النار من جانب واحد، لأن إسرائيل وحماس أعلنتا بشكل منفصل بأنهما ستوقفان القتال - أضعف وأكثر غموضاً من وقف إطلاق النار الذي سبقه.

لذا فإن وقفاً جديداً لإطلاق النار ينبغي أن يهدف إلى تصحيح بعض العيوب التالية: أولاً يجب أن يكون الاتفاق واضحاً، وربما حتى مكتوباً، ويجب أن يكون الوسطاء، سواء أكانوا عرباً أو أوروبيين، مستعدين للعمل على التوصل إلى صيغة تكون أكثر إغراءً للطرفين بحيث يحافظان عليها. (يمكن حفز حماس عبر فتح الحدود نسبياً مع مصر، بينما ستطالب إسرائيل ببذل جهود جدية لوقف إمداد حماس بالأسلحة).

التوصل إلى هكذا اتفاق لوقف إطلاق النار سيكون أصعب من الاتفاق السابق، إذ أن الطرفين أسرا نفسيهما في مواقف علنية قوية في شأن ما ينبغي أن يتضمنه الاتفاق. فإسرائيل تريد تبادل الأسرى، فيما تريد حماس فتح الحدود. وتقدّم الصعوبة المتزايدة في ترتيبات التفاوض درساً عاماً هاماً، يتمثل في أن على الولايات المتحدة، أنى استدارت، أن تكافح لمجرد إنجاز أشياء كان يمكنها إنجازها في السابق بكلفة وجهد أقل.

للتفاوض بهدف التوصل إلى هدنة (●)، لكن شروطها كانت غامضة وغير واقعية، مازاد الشكوك الإسرائيلية اشتعالاً.

## على كل الأطراف التوقف عن مناصرة الصخور عبر محاولاتهم تخطي العقبات الخاصة بتحقيق حل فوري وشامل للنزاع العربي - الإسرائيلي. بدلاً من ذلك، الوقت أرف لتطبيق الخطة البديلة (ب).

وهكذا كلما تلفت حماس بكلمة هدنة، زادت مطالبها وكان من أبرزها الانسحاب الإسرائيلي الكامل إلى الحدود التي كانت قائمة قبل حرب العام 1967. إضافة إلى ذلك، هدنة حماس مؤقتة بشكل واضح (على الرغم من أن مدتها المقترحة تتغير من متحدث إلى آخر في حماس). باختصار، الفكرة تبدو للإسرائيليين هدوءاً تكتيكياً مريباً يفشاه لبوس سيء، أكثر منها عرضاً سخياً لتسوية مؤقتة. لقد طالبت حماس إسرائيل، بصورة أساسية، بالوفاء بشروط ما كان لها أن تمنحها (إسرائيل) حتى لفتح في مقابل هدنة مشروطة بمدّة محددة بدلاً من السلام الكامل.

ومن الواضح أن اقتراح حماس الحالي بعقد هدنة لايلبي احتياجات إسرائيل. لكن النقطة الجوهرية هنا هي أنه لم يتم قط اختبار الموقف التفاوضي لحماس. فكل الاحتمالات تشير إلى أن قادة حماس أنفسهم لا يعرفون بالضبط ما الذي يمكن أن يقبلوا به. لا بل أكثر: إنهم في الحقيقة ربما يتجادلون في ما بينهم على نحو صاخب. لذا فإن وقف إطلاق النار على المدى القصير سيتيح للدبلوماسية الدولية اختبار حماس واستنباط هدنة تكون أكثر واقعية.

مثل هذه الهدنة يجب أن تتجاوز وفقاً لإطلاق النار مدته سنة، لتصبح شيئاً آخر ثابتاً لمدة لا تقل عن خمس أو عشر سنوات. وللعلم من أجل التوصل إلى هدنة طيلة هذه المدّة، يجب أن يوفّر الاتفاق، وبشكل واقعي، لكل طرف ما يريد. وعلى سبيل المثال، يجب أن يُوفّر لحماس القدرة على العمل بحرية في المناطق الفلسطينية، وإسرائيل القدرة على العيش بدون خوف من التعرض

## الخطوة الثانية: تطوير وقف إطلاق النار إلى هدنة

حتى لو أمكن للجهود الدبلوماسية معالجة بعض عيوب وقف إطلاق النار السابق، فإن قيادات الطرفين ستري إلى أي صدام آخر بوصفه أمراً محتوماً. فهما سيستمران في الجدل في ما بينهما حول ما إذا كانت كلفة فترة قصيرة من الهدوء، ستكون مرتفعة على المدى الطويل. ولذلك، من الحاسم أن يترافق أي وقف قصير الأمد لإطلاق النار مع جهود مكثفة لتحويله إلى هدنة فاعلة متوسطة المدى. لقد بددت إدارة بوش الهدوء الذي وفّره آخر وقف لإطلاق النار على دبلوماسية لامعنى لها بين زعماء ضعاف وفاقدى النفوذ في الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني.

توجد سابقة لمثل هذا الترتيب، تتمثل في اتفاقيات الهدنة التي تم التفاوض عليها بين إسرائيل وجيرانها العرب في نهاية حرب العام 1948. إن أي هدنة بين الإسرائيليين والفلسطينيين ستعترف بأن الصراع لم يحل، لكنها ستبني سلسلة من الترتيبات يمكن للطرفين التعايش معها لفترة مؤقتة. وبذلك تغطي الهدنة الطرفين ما يتوقان إليه في الوقت الراهن، بحيث تحصل إسرائيل على الهدوء والحد من توريد السلاح إلى حماس، بينما يحصل الفلسطينيون على الحدود المفتوحة، وتجميد الاستيطان، وفرصة إعادة بناء مؤسساتهم الممزقة.

وعلى الرغم من الطبيعة الوجودية للصراع، ثمة ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الطرفين قد يتبنيان بالفعل مثل هذا الترتيب متوسط الأمد. لكننا نواجه هنا سمة غريبة في فكرة الهدنة، إذ ربما يتوقع المرء أنه يجب إقناع حماس، التي تستهدف تغيير الوضع الراهن برمتها، بتجميد وضع تمقته وأن إسرائيل لن تمنع في ترسيخ وضع يبدو واضحاً أن لها اليد العليا فيه. لكن الأوضاع مقلوبة في الحقيقة، فحماس دعت إلى صيغة من الهدنة رفضتها إسرائيل. والسبب واضح هنا: فحماس ترى أن أمد الهدنة محدود، بينما تخشى إسرائيل من احتمال استغلال الهدنة لتغيير الوضع إلى الأسوأ. وبالتالي، ينبغي لهدنة فاعلة أن تطمئن الفلسطينيين بأنها ليست دائمة، والإسرائيليين بأن وضعهم لن يتدهور طالما أنها قائمة.

## البحث عن الجوهر

أعربت حماس على مدى سنوات عن استعدادها

(●) استخدم المؤلف الكلمة الإنكليزية Armistice للإشارة إلى اتفاقية رسمية لعدم الانخراط بالحرب. صحيح أن حماس اقترحت «هدنة» تحمل في معناها بعض أوجه الشبه مع الكلمة الإنكليزية. إلا أنه ينشوبها الكثير من الغموض. لذلك، يشير المؤلف إلى اقتراح حماس بواسطة الكلمة العربية «هدنة». الواردة في النص بحرف مائل. (المترجم).

للمجموعات والأجنحة المسلحة في قطاع غزة. إذ أن مشكلة مشابهة جعلت غالبية القادة الإسرائيليين ينقلبون على ياسر عرفات. وفي المقابل، قاومت حماس أي تعهد لفرض رؤاها على الآخرين لفترة معقولة، لكن عندما لانت أخيراً، أظهرت بالفعل رغبة في منع أي خرق لوقف إطلاق النار.

### قضايا طويلة الأمد

تكمن المشكلة بالنسبة إلى المسائل طويلة الأمد في أن نوايا الطرفين واضحة ومتصادمة بصورة أساسية. وهنا قد تبدو حماس الطرف الأصعب. فتصريحات الحركة نفسها تشير إلى أن هدف *الهدنة* لا يقتصر على تنظيم البيت الفلسطيني بالمعنى الداخلي فقط، بل يمتد أيضاً ليشمل تعويض اختلال ميزان القوى مع إسرائيل. ولذا فإن أي هدنة يجب أن تتناول مسألة السلاح كي تكون مغرية بالنسبة إلى إسرائيل.

وعلى نحو مماثل، ينبغي إقناع حماس بأن إسرائيل لم تكن تستغل الهدنة لفرض تغييرات طويلة الأمد. ومن المستغرب - والمريب - هنا أن يكون إقناع حماس في هذا الجانب أسهل من إقناع فتح. تقليدياً، كان القلق الرئيس على المدى الطويل بالنسبة إلى الفلسطينيين يتمثل في تنامي أعداد المستوطنين الإسرائيليين. لكن من المثير للدهشة أن المستوطنات تبدو أحياناً مسألة أقل أهمية بالنسبة إلى حماس منها بالنسبة إلى فتح، لأن حماس ترى أن حدود العام 1967 مؤقتة. لكن ربما لا يزال قادة حماس في حاجة إلى تجميد الاستيطان ليقنعوا الفلسطينيين بأنهم لا يبيعون قضيتهم الوطنية للاحتفاظ بالسلطة السياسية.

إن لدى الدبلوماسية الدولية أوراقاً يمكنها استخدامها في معالجة هذه المسائل. إذ يمكنها بكل تأكيد أن تزيد من حجم الإغراءات لتشجيع الطرفين. لكن عليها التركيز أيضاً على مسألتين مهمتين قد تجعلان الهدنة تبدو وكأنها خطأ إستراتيجي: المستوطنات الإسرائيلية وسلاح حماس. هنا يجب على الأطراف الدولية المضي لما هو أبعد من التفاوض للتوصل إلى اتفاق، بحيث تشارك في آليات التطبيق، (مثل مراقبة المستوطنات، وتفتيش البضائع والسلع التي تدخل إلى غزة، وجهود مكافحة التهريب). وستحتاج حماس إلى تطمينها بأنه لن يتم استغلال الهدنة كفرصة لبعض الأطراف الدولية كي تسلح فتح حتى الثمالة.

إلى هجوم. وبالطبع، سيكون من الصعب ترتيب هذه الهدنة، لأن المنظومات الوحيدة الممكنة من الحدود المرسمة بين المناطق التي يسيطر عليها الإسرائيليون والفلسطينيون ليست محايدة على الصعيد السياسي. فحماس تقترح حدود العام 1967 فيما إسرائيل ترفض ذلك. إسرائيل قد تعرض المناطق الأمنية التي رُسمت في اتفاقات أوسلو، لكن كان من المفترض أن تكون تلك المناطق مؤقتة وقابلة للتوسيع بشكل ثابت، حتى في سياق تلك الاتفاقات المؤقتة. وعلى أي حال، حماس ترفض تلك الاتفاقات. لكن ثمة مشاكل أعمق من الخلاف الجغرافي من أجل التوصل إلى هدنة. إذ ستواجه كل من إسرائيل وحماس مشاكل في إقناع أحدهما الآخر بنواياها وإن لأسباب مختلفة.

### صدقية قصيرة الأمد

على المدى القصير، يعود السبب في المشكلات الخاصة بصدقية إسرائيل إلى إصرارها في الماضي على الاحتفاظ بالقدرة على التصرف بشكل منفرد، وفقاً لتفسيرها الخاص للاتفاقيات. وقد استمر هذا النمط من السلوك منذ تأسيس الدولة حيث وقفت إسرائيل موقفاً معادياً تجاه الرقابة الخارجية خاصة إذا ما كانت مترافقة مع أي نوع من القوة. فقد عمل مفاوضوها بنجاح لاستبعاد أي شروط ذات معنى لحل النزاعات من اتفاقات أوسلو، كما تجنبت إسرائيل بعض الشروط الضعيفة التي تضمنتها تلك الاتفاقات، وعرقلت أي عملية مراقبة قوية من جانب طرف ثالث منذ ذلك الوقت. ثم أنها أنهت من جانب واحد اتفاقات وقف إطلاق النار السابقة عندما اعتقدت أنها خُرقَت (مثلما حصل في العام 2003). وإذا ما وضعنا تفوق إسرائيل العسكري الساحق ومخاوفها الوجودية في الاعتبار، فإن سلوكياتها الانفرادية تبدو مفهومة، لكنها تتضمن الكلفة بأن موافقتها على مجموعة من الترتيبات المؤقتة ستكون غير مرضية لأحد الخصوم، ما لم تتوافر فيها بعض الضمانات الخارجية.

كانت إشكالية صدقية حماس قصيرة الأمد أقل حدة من إشكالية صدقية إسرائيل. فحتى الإسرائيليون الأكثر تشكيكاً بحماس يعترفون بأنها (حماس) حافظت على التزاماتها بأمانة أكثر مما فعلت فتح بكثير. والسؤال الرئيس على المدى القصير يدور حول ما إذا كانت حماس ستفرض أي اتفاق على العالم الغامض

## الانتقال إلى هدنة

الهدنة المقترحة	وقف إطلاق النار الجديد المقترح	حزيران/يونيو 2008 وقف لإطلاق النار	
مكتوبة	قد يكون مكتوباً	غير مكتوب	الوضع
بوساطة علنية، قد تتم بوساطة علنية	بوساطة علنية	منسقة، من طرف واحد	المفاوضات
5 - 10 سنوات قابلة للتجديد	من 1 - 2 سنة قابلة للتجديد	6 أشهر (حماس) إلى أمد غير محدد (إسرائيل)	المدة
إطلاق سراح من تبقى من الأسرى الفلسطينيين في حال اتفق المراقبون الدوليون على أنه تم الوفاء بالتعهدات الفلسطينية	تبادل محدود للأسرى	لا يوجد تبادل للأسرى	الأسرى
غزة والضفة الغربية	غزة فقط	غزة فقط	النطاق الجغرافي
حركة كاملة لكن دخول الأسلحة محظور	مفتوحة للمواد الأساسية	رفع تدريجي (حماس) لا يوجد التزام (إسرائيل)	الحدود والمعابر
مراقبة دولية	بمشاركة حكومة رام الله والاتحاد الأوروبي	من طرف واحد بوساطة مصر وإسرائيل	مراقبة المعابر
تجميد كامل ومراقبة دولية	لا توجد قيود رسمية	تزايدت عمليات البناء	المستوطنات الإسرائيلية
مصالحة بين الحكومتين وإجراء انتخابات خلال ثلاث إلى خمس سنوات	حكومتان فلسطينيتان، واحدة في غزة والأخرى في الضفة الغربية	حكومتان فلسطينيتان، واحدة في غزة والأخرى في الضفة الغربية	الحكم الفلسطيني

القديم في شأن التفاوض مع تنظيم إرهابي. ففي أيامها الأولى في السلطة، أعادت إدارة أوباما التأكيد على هذه السياسة. وعلى غرار محرقات كثيرة، فإن هذا الحظر يشوّس التفكير أكثر من أن ينقيه، ويؤدي إلى الارتباك من أوجه ثلاثة:

أولاً، المنطلق المنطقي الأصلي لرفض التفاوض مع حماس يتمثل في أن القيام بذلك سيشجع الإرهاب. بيد أن الأحداث تجاوزت هذه الحجة منذ وقت طويل، إذ يتم التشجيع على المفاوضات مع حماس أساساً حين تهاجم أهدافاً مدنية (وحدها صواريخ حماس على البلدات الإسرائيلية هي التي أقتعت إسرائيل بالتفاوض من أجل وقف إطلاق النار). ومن الغريب الآن أنه يتم التعامل مع حماس كحركة منبوذة، في الوقت الذي ترغب فيه في ممارسة الدبلوماسية المعتادة بدل ممارسة الابتزاز

كما بإمكان الولايات المتحدة أن تكون مفيدة أكثر في بعض المجالات عبر تقديم التشجيع بشكل غير مباشر. ويصح هذا على وجه الخصوص في الوساطة. إذ ثمة إشارات قوية على استعداد العديد من الأطراف الأوروبية والعربية للعب الدور الذي يفضل معظم قادة الولايات المتحدة تفاديه. فحتى الأشهر الأخيرة من إدارة بوش، ثبّطت الولايات المتحدة هذه العروض أو وقفت منها موقف المتفرج على نحو متدمّر. وبإمكان إدارة أوباما تصحيح هذا الخطأ بسهولة من خلال تبني هذه الجهود بقوة.

## تخطي المحرمات

هذا التحول في الموقف من جانب الولايات المتحدة سيثير بالتأكيد، وعلى الفور، انتقادات حادة داخل الولايات المتحدة وإسرائيل مفادها أنها تنتهك الحظر

شركائها من أوروبا والشرق الأوسط، وسيلة لجعل الإسرائيليين والفلسطينيين يعيشون من دون أن يؤذوا بعضهم بعضاً لمدة خمس أو عشر سنوات، فإن عليها استغلال ذلك الإنجاز كمنطلق للقيام بإجراءات جديّة لمعالجة الأسباب الأساسية للصراع. وكما هو معروف، المشكلة في التسوية المؤقتة هي أن أي استقرار تحققه في المدى المتوسط قد لا يستمر على المدى الطويل. وعلى الرغم من أن التسويات ستكون مقبولة إلى أمد غير محدد بالنسبة إلى طرف واحد (إسرائيل)، إلا أنها ليست كذلك بالنسبة للطرف الآخر. فقيادة حماس - بدعم قوي من كل الفلسطينيين - لن يسمحوا لمثل هذا الوضع أن يصبح دائماً. فهم سيعملون، عاجلاً أم آجلاً، على تمزيق الترتيبات واستئناف الصراع.

لهذا السبب، ينبغي على إدارة أوباما أن تلتفت الآن إلى بعض القضايا الرئيسية طويلة الأمد. فمن غير المجدي محاولة التفاوض على حل إقامة دولتين كما لو أن هناك سلطة فلسطينية فعالة، وكما لو أن حماس غير موجودة، وأن الحرب الأهلية الفلسطينية لم تحدث، وأن النشاط الاستيطاني متوقف. وعلى الرغم من ذلك، ثمة أسباب كثيرة تدعو إلى التركيز على هدف طويل الأمد لتحقيق تسوية طويلة الأمد والعمل من أجلها، عبر خطين عامين اثنين:

### 1. إعادة بناء السلطة الفلسطينية، عبر التعامل مع المؤسسات والديمقراطية الفلسطينية بشكل أكثر جدية.

إن أي حل طويل الأمد ليس ممكناً، ما لم تكن هنالك قيادة فلسطينية فعالة وقادرة على اتخاذ قرارات يُعتد بها باسم كل الفلسطينيين. وتوفّر الهدنة فرصة لإعادة بناء السلطة الفلسطينية. لكن المشكلة في أن الجهود السابقة في هذا الشأن ركّزت على مسألتين ثانويتين وهما الكفاءة التقنية وتعزيز الأجهزة الامنية. وستكون هذه الإصلاحات سريعة الزوال ما لم تدعمها ظروف سياسية ملائمة.

تتمثل الخطوة الحقيقية الأولى لإنعاش السلطة الفلسطينية في المصالحة بين حماس وفتح والتي ستكون خطوة صعبة. ففي العام 2006، كانت حماس متحمّسة لحكومة وحدة وطنية. لكن في العام 2007، تم تملّق الحكومة للحركة للدخول في حكومة من هذا النوع. وفي العام 2008، انسحبت حماس من المحادثات التي كانت تسير

ضد المدنيين.

ثانياً، يتمثل المنطلق المنطقي الأحدث لفرض العزلة الدبلوماسية على حماس في تفادي إضفاء الشرعية على الحركة وعلى المكاسب التي حققت. هنا نحن لانفعل شيئاً سوى إشباع كبرياتنا لأن من المرجح أن تظهر حماس نوعاً من الغموض إزاء القيام باتصال مباشر مع واشنطن، ذلك أن رغبة قادتها في إجراء حوار دولي حقيقية لكنها ليست مفرطة. فأى انفتاح دولي قد يضطر

## من المهم للغاية أن يترافق أي وقف قصير المدى لإطلاق النار مع جهود مكثفة لتحويله إلى هدنة متوسطة المدى وقابلة للاستمرار.

حماس إلى العمل بكدّ لتطمين أنصارها بأنها لم تبع روحها للحصول على اعتراف دولي (كما تتهم حماس فتح). وفي كل الأحوال، المصدر الحقيقي لقوة حماس هو الدعم الداخلي الذي تحظى به، لادبلوماسيتها. ثالثاً وهنا النقطة الأكثر أهمية، إن الحجة التي تساق ضد "التعاطي مع حماس" تُخفق تماماً في إدراك أهمية ما هو ضروري. ذلك أن السؤال الهام لا يتعلق بما إذا كانت الولايات المتحدة ستخوض غمار مناقشات رسمية مع حماس، بل بما تقولُه الولايات المتحدة وتفعله حين تحاول الدول الأخرى التحدث إلى حماس. وفي شأن هذه النقطة، تغيّر موقف إدارة بوش نفسها في العام الماضي حين وافقت على الوساطة المصرية بين فتح وحماس.

كما أن ثمة سؤالاً أكثر أهمية يتعلق بالموقف الأميركي تجاه المفاوضات بين إسرائيل وحماس. أوبالآخرى كان هذا سؤالاً أكثر أهمية، لكن تمت الإجابة عنه. فتلك المفاوضات تجري بالفعل ولو أنها غير مباشرة، وقد تأخر كثيراً إغلاق هذا الباب الموارد. والسؤال الآن هو ما إذا كان ينبغي تحويل هذه الحاجة إلى الإعلان عن فتح ذلك الباب إلى تجربة مفيدة وإيجابية.

### الخطوة الثالثة :

### اغتنام فترة الاستراحة

إذا ما وجدت إدارة أوباما، جنباً إلى جنب مع

على الأجهزة الأمنية أساساً. إذ أن تدريب الأجهزة الأمنية وتجهيزها بالمعدات يهدف في الوقت الحالي إلى ضمان عدم تفوق حماس على خصومها من الناحية العسكرية. بيد أن هذا يعمّق الانقسام بدل أن يردمه. وتوقع أن تتمكن مثل هذه القوى من هزيمة حماس - حتى لو كانت تأتمر بأوامر عباس - يعني تجاهل الدرس اللبناني حول ما يمكن للجيش المحترف والقوى الأمنية أن تفعله وما لا يمكنها فعله في دولة تعاني من انقسام عميق. فالأجهزة الأمنية غير قادرة بمفردها على دعم حكومة شرعيتها موضع شك على نطاق واسع، عبر قيامها (الأجهزة) بموجة اعتقالات واسعة أو بمواجهات قصيرة في الشوارع. والأسوأ من ذلك هو أن محاولة تسليح عباس وحده، ستؤدي بالتأكيد إلى جعل حماس تناضل بشدة لحصول على السلاح، ما سيؤدي إلى تقويض الهدنة.

ينبغي أن يكون الهدف إرغام القادة الفلسطينيين على تقديم خيارات سياسية حقيقية طويلة الأمد إلى شعبهم، لا مجرد الوحدة من أجل الوحدة. وفي الواقع يمكن جعل هذه النقطة عموماً دليلاً هادياً للدبلوماسية.

## 2. إرغام كل الأطراف على البدء في تحديد خياراتهم.

كان من عادة الإسرائيليين والفلسطينيين، إذا ماواجهوا خيارات، انتقاء خيار "كل ماورد أعلاه". لذا ينبغي توجيه الدبلوماسية الدولية نحو إرغام الأطراف على تحديد خياراتهم بدلاً من تقاديفها. فبعد مداوات استمرت أكثر من عشر سنوات في شأن ما إذا كان ينبغي التركيز على السياسة أو المقاومة، حسمت حماس أمرها أخيراً، عندما دخلت انتخابات العام 2006، فاخترت الأمرين معاً. وقد أتاحت لها الدبلوماسية الدولية الاستمرار في هذا الطريق. يقيناً، كانت ثمة جهود دولية خرقاء إلى حد ما لاستبعاد حماس كطرف سياسي في الشؤون الفلسطينية الداخلية، مالم تف ببعض الشروط. غير أن الوسائل التي استخدمت كانت إما موضع شك أضعيفة (مثل التلاعب بقانون الانتخابات) أو شديدة القسوة (ضغط مالي حاد وتسليح الخصوم). فقد كانت الشروط التي طلبت اللجنة الرباعية للشرق الأوسط من حماس الوفاء بها متطرفة، وتتجاوز كثيراً ماطلب من

في ذلك الاتجاه. وفي العام 2009، يزعم قادة حماس بأن فتح خانتهم في حرب غزة، ولم يعد سخطهم يقتصر على فتح كطرف، إذ لم تعد حماس تعترف بمحمود عباس كرئيس للسلطة الفلسطينية، وتلمّح بشكل متزايد إلى أنها ستشكل بديلاً لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تُعتبر ورقة التوت الأخيرة للوحدة الفلسطينية.

لكي تعود الأمور إلى نصابها، يتعيّن على المجتمع الدولي، وبالأخص الولايات المتحدة ومصر، استخدام سياسة العصا والجزرة بحيث يتم عرض الكرم والقوة في آن. ومرة أخرى سيكتشف الدبلوماسيون الحازمون أنهم يملكون أوراقاً يمكنهم استخدامها. فالسلطة الفلسطينية تعتمد بشكل كبير على الدعم الدولي لتدفع الرواتب ولتبقى قادرة على الوفاء بالتزاماتها، بينما تسيطر إسرائيل ومصر على كل نقطة دخول وخروج للسلع والأشخاص، فيما تواصل حماس وفتح التنافس كي تظهرا للفلسطينيين بأنهما قادرتان على الحكم بفعالية، وهو ما لا يمكن لأي منهما القيام به من دون مساعدة دولية.

لكن المصالحة مجرد خطوة أولى لأخيرة، حيث لا ينبغي أن يكون الهدف النهائي تقاسم السلطة، لأن ذلك سيكون مجرد وصفة للشلل. عوضاً عن ذلك، فإن تقاسم السلطة يجب أن يفتح الطريق أمام إمكانية التناوب على السلطة. بكلمات أخرى، يجب أن يتم إنعاش الديمقراطية الفلسطينية. في ظل الظروف الحالية، لن توافق لفتح ولا حماس على خوض الانتخابات مالم تشعر بالثقة في نتيجتها. وبالتالي ينبغي أن تستند مصالحة فتح وحماس على عودة فعلية إلى الحكم الدستوري والانتخابات الحرة. بيد أنه من الصعب تخيل تطور كهذا من دون دعم دولي قوي والتعهد بعدم وجود نية (كما حصل في العام 2006) للانقلاب على النتائج. وسيتوجب على الأطراف الدولية أن تنظر إلى المؤسسات الفلسطينية - مثل الحكومات المحلية، والنظام القضائي، والهيئات المستقلة، واللجنة الانتخابية، وربما جماعات المجتمع المدني المهمة - باعتبارها هيئات تحتاج إلى المساعدة والدعم وتحويلها إلى هيئات احترافية. وحين بذلت مثل هذه الجهود في السابق، كانت ضعيفة في الغالب وترمي إلى تحقيق نتيجة سياسية حزبية وقصيرة الأمد بعينها (كتقويض سلطة عرفات وإقصاء حماس).

لا جدوى من البدء بهذا الجهد الدولي عبر التركيز

حلفائها (إسرائيل) في أمور كهذه، خاصة المستوطنات، معتبرة أنه لا توجد حجة قوية لفرض هذه المسألة والمخاطرة بإضعاف حكومة إسرائيلية قد تكون متعاونة معها في مجالات أخرى.

يمكن أن يكون ثمة منطوق في مثل هذه الحسابات لو كانت القرارات تتخذ يوماً بيوم. فأغلب القادة يفضلون تأجيل القيام بأفعال حاسمة. وقد أظهر القادة الإسرائيليون على المدى القصير (مثل نظرائهم الفلسطينيين) براعة في الحفاظ على خياراتهم وتفادي الخيارات التي لا يمكن إلغاؤها. فهم قادرين على مواصلة الحرب والسلام والمفاوضات والعنف في آن. ولديهم القدرة على خلق حقائق على الأرض في الوقت الذي يصرون فيه على أن كل شيء قابل للتفاوض.

على الرغم من ذلك، فإن خيار "كل ماورد أعلاه" يضعف، على المدى الطويل، بعض الخيارات ويغلق أخرى تماماً. ومرة أخرى، فإن ممارسة الضغط المتواصل والمعتدل قد يكون مفتاح الحل: إذ سيبلغ الإسرائيليون بشكل واضح لاليس فيه أنهم سيتحملون ثمن إضعاف الجهود الدولية، وسيقال للفلسطينيين بأن "المقاومة" بديل لأشكال أخرى من السياسة.

### الخلاصة: هل هذا اقتراح واقعي؟

يزعم المسار الذي طرحناه هنا بأنه يستند إلى

الأطراف الأخرى، إلى الحد الذي لم يعرض حماس إلى ضغط من جمهور أنصارها كي تحدد خيارها.

بدلاً من مطالبة حماس بالاستسلام فوراً، ثمة أسلوب أكثر حكمة لجعل حماس تشعر بالقدرة على تفادي التسوية لكن في مقابل ثمن باهظ. وهنا يرجح لمزيد من الضغط الدائم والثابت أن يحقق النجاح، شريطة أن يكون أكثر اعتدالاً في وسائله وغاياته. ويمكن للدبلوماسية الدولية الانتقال إلى معايير متوسطة بعيداً عن المطالبة بأن تتخلى حماس عن كل مواقفها السابقة. كما يمكنها التأكيد على ممارسات حماس بدل إيديولوجيتها، والإصرار على ألا تعرقل حماس الدبلوماسية بدل الطلب من الحركة أن تشارك فيها بفاعلية. وينبغي أن ينصب الجهد على الضغط على حماس ببطء لتقييم خياراتها بدلاً من مطالبتها بالخضوع الفوري بطريقة غير واقعية، وتعريضها إلى الرفض الشعبي إذا ما أخفقت في اتخاذ القرار.

لقد فضّلت إسرائيل أيضاً مقارنة "كل ماورد أعلاه". فقاداتها يواصلون المفاوضات في الوقت نفسه الذي يوسعون فيه المستوطنات. وهم ينفدون بجلدهم من النقد الداخلي من خلال التصريحات والأفعال المتشددة، فيما يلمحون إلى المحاورين الدوليين باحتمال حدوث تسويات وشيكة. هذا إضافة إلى أنهم أضعفوا القادة الفلسطينيين بينما يدعون أنهم يعتبرونهم شركاء. وقد تجنبت الولايات المتحدة التصادم مع أقرب



السياسية وحسب، بل مع القيود القانونية أيضاً. وعلى سبيل المثال، ستجد إدارة أوباما بأن قدرتها على التعامل مع أي هياكل في السلطة الفلسطينية تكون تابعة لمسؤولي حماس ستكون محدودة، لأنها ممنوعة من استخدام الأموال لإجراء اتصالات دبلوماسية مع الحركة، وأن عليها قطع كل المساعدات عن أي وزارة تخضع لسيطرة حماس.

ثالثاً، وربما تكون هذه النقطة الأكثر أهمية، يمكن أن يكون قادة الطرفين أحياناً بارعين على الصعيد التكتيكي، على رغم كل المشكلات التي تعانيها رؤيتهم الإستراتيجية. وبالنسبة إلى معظم اليمين الإسرائيلي، ومعظم قيادة حماس إضافة إلى كوادرها، سينظر إلى السياسات المقترحة هنا باعتبارها سلسلة من الأفخاخ الهادفة إلى إرغام الطرفين على تغيير اختياراتهم وأهدافهم. ومن غير المرجح أن يقف القادة الفلسطينيون أو الإسرائيليون متفرجين بينما تتم ممارسة مناورات عليهم لتبني مواقف يحاولون تفاديها.

بيد أن الحجة المؤيدة لهذا النوع من إعادة تكييف السياسة لن تحقق بالضرورة السلام. إذ من المرجح لها فقط أن تتيح للإسرائيليين والفلسطينيين العيش سوية لبعض الوقت، يمكن خلاله، بجهد دولي ذي معنى، جعل الصراع يتطور إلى أشكال أكثر طواعية.

الواقع، لكن هل هو واقعي فعلاً؟ وهل الولايات المتحدة قادرة حقاً على تغيير مسارها بهذا الشكل الدراماتيكي، بحيث تركز بصورة مبدئية على الترتيبات الأساسية قصيرة الأمد، ومن ثم تتطلع إلى التوصل إلى هدنة متوسطة الأمد، بدل الالتزام بمقاربة تركز إلى حل الدولتين في المدى القريب؟ وهل بإمكان واشنطن أن تدعم المصالحة الفلسطينية وأن تحاول تليين موقف حماس بدل كسرها؟ في الواقع، هذا ماكانت تعمل عليه إدارة بوش بشكل متقطع وغير مكتمل في الأشهر الأخيرة من عمرها. وأكبر دليل على هذا، ولأنه لم يكن ملحوظاً، يتمثل في الموافقة الأميركية على جهود الوساطة المصرية بين حماس وفتح.

لذا فإن بمقدور إدارة أوباما التحرك نحو السياسة التي تم إيجازها هنا من دون القيام بانعطافة كلية. لكن مثل هذا التحرك قد يكون بطيئاً وصعباً، ويواجه ثلاث عقبات خطيرة.

أولاً، إن لدى الولايات المتحدة، على غرار كل أطراف الصراع، عادة كارثية تتمثل في قبول العروض بعد أن تكون قد سحبت من التداول. فالكثير من الأفكار المقترحة هنا (مثل المصالحة بين حماس وفتح والانتخابات) لم تعد مغرية بالنسبة إلى أطراف الصراع كما كانت في السابق.

ثانياً، السياسات المقترحة لا تتصادم مع الحساسيات

مؤسسة كارنيغي لا تتخذ عادة  
مواقف مؤسسية من قضايا  
السياسات العامة.  
والآراء المطروحة هنا لا تعكس  
بالضرورة آراء المؤسسة أو  
مسؤوليها أو موظفيها أو أمنائها.

© 2009 مؤسسة كارنيغي  
للسلام الدولي. كل الحقوق  
محفوظة.

## مواضيع ذات صلة :

للحصول على هذه الأوراق ومطبوعات أخرى زوروا الموقع: [www.CarnegieEndowment.org/pubs](http://www.CarnegieEndowment.org/pubs)

هل بإمكان القاهرة أن تصلح فلسطين؟ ناثان ج. براون، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، تعليق على الإنترنت، 4 تشرين الأول/نوفمبر 2008.  
[http://www.carnegieendowment.org/files/cairo\\_palestine.pdf](http://www.carnegieendowment.org/files/cairo_palestine.pdf).

الرئيس أوباما وتوقعات الشرق الأوسط، عمرو حمزاوي، مارينا أوتاوي، جمال الغيطاني، صلاح الدين الجورشي، خالد الحروب، مصطفى الخلفي، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، موجز رقم 74، كانون الثاني/يناير 2009.  
[http://www.carnegieendowment.org/files/obama\\_middle\\_east.pdf](http://www.carnegieendowment.org/files/obama_middle_east.pdf).

غزة بعد الحرب: عدالة مصر وحدودها، ميشيل دن، شهادة أمام لجنة الشؤون الخارجية، 12 شباط/فبراير 2009.  
[http://www.carnegieendowment.org/files/0212\\_dunne\\_egypt.pdf](http://www.carnegieendowment.org/files/0212_dunne_egypt.pdf).

إلماعات حول الشرق الأوسط برسم إدارة أوباما لتجنب الأساطير والآمال العقيمة، ناثان ج. براون، تعليق على الإنترنت، 23 كانون الثاني/يناير 2009.

<http://www.carnegieendowment.org/publications/index.cfm?fa=view&id=22662&prog=zgp&proj=zme>

أقول حل الدولتين؟ مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، شروح السياسات رقم 58.  
[http://www.carnegieendowment.org/files/pb58\\_brown\\_sunset\\_final.pdf](http://www.carnegieendowment.org/files/pb58_brown_sunset_final.pdf)

مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي هي مركز أبحاث لايتوخى الربح ومكّرس لتشجيع التعاون بين الأمم وتعزيز الأثرراط الدولي النشط للولايات المتحدة. تأسس المركز العام 1910 وهو لاحزبي يهدف إلى تحقيق نتائج عملية. وبناء على التأسيس الناجح لمركز كارنيغي في موسكو، أضافت المؤسسة إلى نشاطاتها مراكز جديدة في بيجينغ، وبيروت، وبروكسل، إضافة إلى مكاتبها القائمة في واشنطن وموسكو.

## مؤسسة كارنيغي

### للسلام الدولي

1779 Massachusetts Avenue, NW  
Washington, DC 20036



# شرح السياسات